

Lundi - 22 - 5 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

١٨ — دفاع عن البلاغة

١٠ — التلاؤم فى الأسلوب

أثبتنا بحجة العقل ودليل الوجدان أن التأنق فى الأسلوب أصل فى طباع الناس ، وسر فى كيان اللغة ، وركن من أساس البلاغة ؛ وأن الجمال اللفظى المطبوع مُنْيةُ كل لسان ينطق ، وبغية كل أذن تعى ؛ فالناس خاصتهم وعامتهم يحبون أن يسمعوه ، والكُتَّاب قادتُهم وساقتُهم يتمنون أن يستطيعوه . وإذا كان فى حَمَلة القلم من يقدح فيه وينفِّر منه كان ذلك من باب الكذب على النفس مردُّه إلى أسباب يعرف بعضها ذلك الثعلب الفاضل الذى

رام عنقوداً فلمـــا أبصر المنقودَ طالَه

قال : هذا حامضٌ لما رأى أن لا ينـالَه !

فلندع ذلك الآن ولنسدد القول إلى الغرض المقصود من التلاؤم . فما التلاؤم فى حقيقة معناه وطبيعة مداه ؟ التلاؤم كلمة جامعة لكل وصف لا بد منه فى اللفظ ليكون الكلام خفيفاً على اللسان ، مقبولاً فى الأذن ، موافقاً لحركات النفس ، مطابقاً لطبيعة الفكرة أو الصورة أو العاطفة التى يعبر عنها الكاتب أو الشاعر

فالتلاؤم من حيث القبول فى الآذان والخفة على اللسان ، يكون فى الكلمة بائتلاف الحروف وتوافق الأصوات وحلاوة

الجرْس . ويكون فى الكلام بتناسق النظم وتناسب الفِقر وحسن الإيقاع . ومن هنا تنشأ السلاسة والعذوبة والطلاوة والرخامة ، وانسجام التراكيب ، ومتانة الحبك ، وكل صفة تنفى عن الكلام التنافر والنبوّ والقلق والتعسف والتعقيد والهلهلة والركاكة والفثاثة والحوشية والجفوة . ومدار ذلك على الذوق الفنى السليم ، والأذن الموسيقية المرهفة . ففى هاتين الحاستين وضع البارئ المصور البديع — جلّ وعلا — سر الفن كله . وبهاتين الحاستين هذبت الدهور اللغة ، وصقلت العبارة ، وتنخلت الألفاظ والتراكيب ، فتخيرت منها للأساليب الرفيعة لغة خاصة يعبرون عنها فى تاريخ الأدب بالألفاظ الكتابية والتراكيب الشعرية

وإلى هاتين الحاستين يُعزى التفاضل بين كاتب وكاتب ، والتفاوت بين شاعر وشاعر ، والتباين بين ناقد وناقد ؛ وإليهما كذلك يرجع تقديم كلمة على كلمة ، واستعمال لفظة دون لفظة ، وقصور الكلام عن مداه ، أو [illegible] سواء أكان هذا البلوغ أو ذلك القصور من جهة تأثير [illegible] الشاعر ، أم كان من جهة تأثر القارئ أو السامع

وعلى هاتين الحاستين [illegible] كحبات النقد ، مؤتلفاً كنفثات [illegible] معقولاً كمن بالسيف ، مؤتلقاً كأنه [illegible] الطبع الموهوب لا حيلة فيها لمحتال ، [illegible] وتفاوت الفضل كما قال ابن الأثير « يقع فى [illegible] أكثر مما يقع فى مفرداتها ؛ لأن التركيب أعسر [illegible] »

وتمييز اللفظ الحسن من اللفظ القبيح يحصل بأدنى كلفة ، لأن المرجع فى ذلك إلى الحاكم المطلق وهو السمع ، فما استخفه كان حسناً ، وما استثقله كان قبيحاً . « وحسن الألفاظ وقبحها ليس إضافياً إلى زيد دون عمرو ، وإلى عمرو دون زيد ، لأنه وصف ذوقى لا يتغير بالإضافة »[1] فالقَراح والنُّقاخ وصفان مترادفان للماء ولكن حسن الأول وقبح الثانى لا يختلف فيهما أحد

* * *

وأما التلاؤم من حيث موافقة الكلام لحركات النفس ، ومطابقته لصور الذهن ، فيكون بتنظيمه فِقَراً وفواصل تقصر أو تطول تبعاً لحالات النفس والفكر . فلكل عاطفة درجتها من الإبطاء أو الإسراع ، ولكل فكرة مداها من الضيق أو الاتساع ، ولكل صورة طبيعتها من الظهور أو الضمور ، ومن القوة أو الضعف . قد تكون أشعة الإلهام كومضات البرق تتعاقب على الذهن بسرعة ؛ وقد تكون عواطف النفس فائرة تجيش بالألم أو تضطرم باللذة ؛ وحينئذ تكون الفِقر القصيرة أنسب الصور للتعبير عنها ؛ كما ترى فى السور المكية من كتاب الله ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الدين تتصل بالعاطفة ، فجاء لذلك أسلوبها قصير الآى كثير السجع رائع التشبيه قوى المجاز . وقد تكون المعانى رزينة بطبيعة موضوعها لتوخيها الإفادة أو الإقناع أو الشرح ، فتقتضى الأسلوب المرسل أو المفصل ، كما ترى فى السور المدنية من القرآن الكريم ؛ فإنها لاشتمالها على أصول الأحكام تتجه إلى العقل ، فنزل أسلوبها هادئ البيان طويل الجمل مفصل الآيات واضح الغرض . أما إذا كانت الفكرة متشاجنة الأصول متشابكة الفروع فالأبلغ أن تفصَّل بالاستدارة .

والاستدارة (La période) صورة من صور التعبير فى اللغات العليا ، تحدث عنها أرسطاليس وترجمها مترجموه إلى العربية بهذا الاسم ، ولكن البيانيين من علمائنا لم يحفلوا بهذا النوع ولم ينبهوا إليه فى أساليب العربية على كثرة وروده فى النثر والنظم ، حتى وقع عليه بعض المتأخرين فسموه (القول بالنظم) أو (حسن النسَق)[1] . والاستدارة جملة متوسطة الطول تشتمل على فاتحة وخاتمة ، وتتألف من فواصل ترتبط بإحكام ، وتتساوق فى انتظام ، وتحمل كل فاصلة من فواصل الفاتحة جزءاً من المعنى بحيث لا يتم المراد إلا بذكر الجملة الأخيرة وهى الخاتمة

مثالها من الشعر قول النابغة :

فما الفرات إذا هب الرياح له	ترمى غواربُه العِبْرين بالزَّبد
يمده كل وادٍ مترعٍ لجِبٍ	فيه ركام من الينبوت والخضَد
يظل من خوفه الملاح معتصماً	بالخيزرانة بعد الأين والنَّجد
يوماً بأجود منه سيبَ نافلةٍ	ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ومثالها من النثر قول الجاحظ : « فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، وكان منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف ، صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة » ، والاستدارة كثيرة الدوران فى طريقة ابن المقفع وطريقة الجاحظ

(للكلام بقية) احمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ٥٧

(١) قال ابن حجة فى خزانة الأدب : « حسن النسق ويسمى التنسيق نوع من محاسن الكلام وهو أن يأتى المتكلم بالكلمات من النثر أو الأبيات من الشعر متتاليات أو متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً ، وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية إذا أفرد منها البيت قام بنفسه واستقل معناه »

٢ – قيس ولبنى

للشاعر المجدد الأستاذ عزيز أباظة بك

للأستاذ دريني خشبة

وضعنا بين أيدى القراء – وذلك فى العدد السابق من الرسالة – خلاصة مضغوطة لقصة هذا الهوى اللافح ، والحب الرمض الممض ، الذى ملأ حياتىْ قيس ولبنى بمأساة من أروع مآسى الأدب العربى القديم ، أو الأدب العربى فى صدر الإسلام ، وذلك وَفْقَ ما أثبت القصةَ أبو الفرج فى أغانيه ، ثم أردفنا الخلاصة بموجز جاف لمسرحية الشاعر المجدد عزيز أباظة بك ، رجاء أن نشرك معنا القراء فى استعراض القصتين ، والموازنة بينهما ، وإدراك ذلك الجهد الشاق الموفق الذى بذله الشاعر المصرى البارع فى استغلال قصة الأغانى والتصرف فيها ، دون تقيد برواية ، ودون تقديس للتاريخ ، فالأغراض الأدبية ، ولا سيما إن كان المسرح هو طريق إبرازها ، لا يلزم أن تتقيد بما ورد فى سجلات الماضى ، حتى وإن كان ما ورد فى تلك السجلات هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من أى نواحيه . . . ولا داعى لأن نضرب مثلاً بالطريقة التى تنوولت بها مأساة مثل مأساة كليوبطرة على أيدى شيكسبير وشوقى مثلا . . . وقد كان شيكسبير نفسه لا يحفل كثيراً بدقائق التاريخ وحقائقه ، بل كان يضحى كل شىء فى سبيل الهدف الذى كان يضع من أجله دراماته ، مع أنه كان يغترف الحوار أحياناً من سجلات هذا التاريخ

١ – فلقد استغنى الأستاذ عن شخصيتى الحسن والحسين ، واكتفى بأن يكون ابن أبى عتيق رسول الحسين إلى الحباب أبى لبنى ، وللشاعر رأيه فى هذا الاستغناء ... والكلام عن ذلك لا بد أن يكون كلاماً شائكا ، لأنه يتناول مسألة إبراز الأشخاص الذين تحيطهم بهالات مقدسة على المسرح . . . وقد كان الشاعر لبقاً فى وسيلة هذا الاستغناء ، إذ جعل سببه اشتغال الحسين بموضوع تلك البيعة التى فرضها معاوية على المسلمين لابنه يزيد ، ولم يجعل سببها إكبار الحسن أو الحسين عن المشاركة فى هذه القضية الغرامية . . . التى كانا فيها رسولى رحمة وحنان وعطف بين قلبين ، وبين أسرتين كريمتين من أسر المدينة والبطون القريبة منها فى سَرَف

٢ – واستغنى الشاعر أيضاً عن قصة بزوغ هذا الحب بين قيس ولبنى ، كما استغنى عن مرات اللقاء المختلسة الأولى ، التى تذكى الحب عادة وتؤكده ، والتى تصور ما كان يتجشمه المحبون فى سبيل هذا اللقاء فى البيئة العربية القديمة من أخطار وما كانوا يستهدفون له من هول وروع

٣ – واستغنى كذلك عن هذا المشهد المؤثر الذى توسل به ذريح للتأثير على قلب قيس النِّضِ كى يطلق لبنى . . . مشهد قيامه فى الظهيرة عارى الرأس والشمس تصب لهبها على يافوخه ، ومجىء قيس ليظلل أباه حتى يفىء الفىء ...

٤ – ومنظر وداع لبنى فى قصة أبى الفرج ! هذا المنظر الذى لا يكاد أن يضارعه مثيل فى أدب أمة من الأمم ! اسمع إلى الأصفهانى حيث يقول : « فوقف ينظر إليها ويبكى حتى غابوا . فكر راجعاً ونظر إلى خف بعيرها ، فأكب عليه يقبله . ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدميها ! فلما جن الليل ، وانفرد ، وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرار ، وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها ، فجعل يتمرغ فيه ويبكى ... !! »

ولست أدرى لماذا لم يسجل شاعرنا الكبير هذا المشهد الرائع فى نهاية الفصل الثالث ؟ لعلنا نوفق إلى كشف السر فى المقال الباكى الذى سوف يتلو هذا الفصل

٥ – ولم يشأ الشاعر لمسرحيته أن تنتهى إلى مأساة ، ولذلك لم يأخذ فى ختامها بأقوال الجمهرة من الرواة الذين قرروا أن قيساً ولبنى لم يجتمعا بعد الطلاق ، وأنهما ماتا على هذا الفراق المر . والبعد الوبيل ، وأخذ بأقوال القلة التى لا يؤبه لها من الرواة الذين زعموا سعي ابن أبى عتيق والحسن والحسين ، أو ابن أبى عتيق وجاه الحسن والحسين لتطليق لبنى من كثير ، وردها على قيس . وهكذا آثر النهاية السعيدة التى تجبر ما انشعب من تلك القلوب الكبيرة وترد الأمنة إلى عيون المؤرقين ، على النهاية الباكية القاسية التى تفرق بينهم أبد الدهر. وللشاعر مطلق الحق فى أن يتصرف هذا التصرف ، وسنترك تعليل اختياره هذا إلى الفصل الباكى الذى سوف يتلو هذا

الفصل كما ذكرنا من قبل ، والذى سوف نطالع فيه القراء على الأهوال النفسية التى يضطرب بها فؤاد شاعرنا العزيز فتؤزّه أزّاً ... هذا الفؤاد الذى أصبح فى ذاته ملحمة حزينة آسية ، مشرقة بالدمع ، من أروع ملاحم شعرنا الحديث ... ملحمة تحترب فيها الذكريات وتتضرم بالآلام والأوجاع

ولو قد أراد الشاعر أن تكون مسرحيته مأساة ، لأحببنا له أن يخلق من ضعف القصة الأسبانية قوة ، وأن يثور فيها على التاريخ وعلى الرواة ثورة كاملة شاملة ... فقد أحب قيس لبنى ، وبادلته لبنى هـذا الحب الجارف الذى خالط قلبيهما وامتزج بدمائهما ، وربط بينهما الرباط المقدس الذى لا يعقل أن ينفصم على هذا النحو الزرى المضحك ، لأن ذريحا أراد له أن ينفصم ، ولأن ذريحا وزوجه أصرا على أن ينفصم ، بحجة أن قيساً قد آثر عليهما زوجه أولاً ، ولأن لبنى أنثى عقيم ثانياً ... فيظل قيس يخالف من أمرهما عاماً بأكمله ، إبقاء على زوجه التى لا يد لها فى هذا العقم ، ثم ينهزم هذا النبل كله فجأة ، وينهزم هذا الحب العارمَ الصارم كله فجأة ، وتنحل الأواصر المقدسة فجأة ، فيرسل قيس زوجه وحبيبة قلبه ومنية نفسه إرسالاً سهلاً هيناً ليناً ؟ لأنه لم يعد يحتمل أن يعذب أبوه المأفون نفسه ، ولم يعد يحتمل أن يرى تلك النار المشبوبة فى دار المجانين الذين يظلون عاماً طويلاً وأكثر من عام طويل يشاكسون زوجين سعيدين حبيبين ، وينغصون عليهما صفو الحياة ... لوددنا إذن لو أن شاعرنا قد ثار على التاريخ وعلى الرواة وعلى أبى الفرج ثورة كاملة شاملة ، فرفض قصة هذا الفراق وذاك الطلاق الذى أضحك الدنيا بأسرها على سذاجة قيس لبنى ، وأشمت به قيس ليلى ، وعرضه لزراية المحبين وازدرائهم فى عالم الإخلاص والوفاء

٦ — ولكن ماذا عسى أن تكون ماجريات الحوادث لو ثار الشاعر هذه الثورة ؟ هنا يترك الأمر كله للعبقرية التى يرهن الشاعر الكبير على أنه يدخر منها الشىء الكثير

٧ — ثم طلاق كثير للبنى ... هذا الطلاق الذى تم فى جلسة واحدة ما خطبه ؟ أبهذه السهولة يتم الطلاق في البيئة العربية المحافظة الصار[illegible] ؟ ومتى طُلب إلى عربى ، بَلْه المسلم ، أن يُعطى حرية التصرف فى أحد من أهله ... ولا سيما إن كانت الزوجة هى الغرض من إعطاء تلك الحرية ؟ ثم كيف تم تلك الخدعة التى لا يجيزها عرف ولا دين فى حضرة الحسن والحسين ، سبطىْ رسول الله ، وسيدىْ شباب أهل الجنة ؟ وإن فوجئنا بها مفاجأة ؟ !

ولكن هذه هى الرواية التى أثبتها أبو الفرج ، وأبو الفرج راوية ماهر يستعين على أذهاننا بإثارة مشاعرنا ، فلا يدعنا مستطيعين أن نسأل ما خطب كذا وما خطب كذا ... ولكنه يتركنا نتألم فى غير استنكار لهذه القلوب الرطبة التى أنهكها الحب ، وأنهكتها الرحمة للمحبين ... الرحمة التى لا تدع لسائل أن يسأل ، ولا لمستدرك أن يستدرك

* * *

وبعد ، فقد كانت قيس ولبنى نجاحاً كاملاً على مسرح الفرقة المصرية ، وقد تلقّت الشعب فجأة فوجد آذانه تمتلئ ببيان عربى فصيح ، وشعر بدوى فيه جزالة وفيه فخامة وروعة ، وفيه موسيقا تُلين عاصيه ، وتتدفق به فى القلوب مُيَسَّراً مفهوماً ... بل محفوظاً فى كثير من روائعه ، مُحَبَّباً فى كثير من قوافيه ، مدهشاً فى كثير من كلماته التى تخيّرها ذوق دقيق كأنه ذوق لآل ، أغرم بالعربية الفصحى فوهبه الله سرها ، يجلو من غُرَرها ودُرَرها ما يشاء ...

لقد كانت قيس ولبنى ، برغم ما حاك فى القلب من قصة أبى الفرج ، قطعة من الحياة يختلط فيها جد الواقع بروعة الشعر ، وتدفق الحوار بهدوء النجوى ، وحرارة الحب بصلابة الواجب !

لقد كان فرحنا بها لا يعد له فرحنا بأية طرفة أدبية صدرت عن المطبعة المصرية هذا العام ... وكيف لا نفرح بها وقد صدرت بعد الدعوة الطويلة التى دعت إليها الرسالة ، من وجوب عناية الشعراء بالدرامة المنظومة التى آن الأوان لكى تسد فراغاً مخيفاً فى الأدب العربى ... وليس معنى هذا ، قبل أن يعقب علينا معقب ، أو أن يسىء تأويل كلامنا مسىء ... أن قيساً ولبنى كانت ثمرة لهذه الدعوة ، ولكنها كانت آية من آياتها ...

لقد سألت ناظمها الشاعر الجليل : ماذا أوحى إليك بنظم مسرحيتك ؟ فأجاب حفظه الله : لقد اقترحتها علىّ زوجتى ... ظللها الله برحمته ورضاه !

ولهذا حديث غير هذا الحديث ، ومقام غير ذاك المقام . وسوف أتحلل مما وعدت الأستاذ به من عدم التحدث عن هذه الأشياء ، لأنها من حق التاريخ والأدب لا من حقه .

دريني خشبة

بحث نفسي اجتماعي

لماذا لا تكون سعيداً ؟

للأستاذ عبد العزيز جادو

كثيراً ما يتوق الناس إلى ما ليس في متناول أيديهم ، لا لأنهم يريدون هذا الشيء بذاته ، ولو أنهم يظنون بأنهم سيكونون سعداء إذا حصلوا عليه ، ولكن لأن هناك شيئاً يفتقرون إليه في تركيبهم العقلي والروحي

ومن أوهام الجنس البشري أن يعتقد أن السعادة رهينة بشيء أو مكان أو زمن ؛ أو بأنه يمكن الاستحواذ عليها بالمال ، أو بأنها توجد في جهة دون أخرى ، أو بأنها ستأتي حتما على أجنحة الزمان ، وكل أولئك - لعمر الحق - من بعض الترهات التي تعترى الناس في طفولة التفكير

السعادة لا يمكن أن تشترى بمال لأنها حالة من حالات العقل — الحالة المستمدة من الداخل موجهة إلى الخارج — وستتبعك إلى كل مكان ، وفي كل وقت وفي كل حالة إذا أنت نظرت إلى الأشياء والحالات التي تحيط بك بعين مميزة فاحصة ، وعندئذ تعرف أن التمييز والتقدير هو الحب ، وأن الحب هو أن تكون سعيداً

وبعد ، فما الأشياء التي تجعلك سعيداً أو شقياً ؟ أنت اليوم تقول إنك سعيد لأن لديك ما كنت تريد . وبعد شهر ستكون شقياً وتود أن تحصل على شيء آخر ، وستكون سعيداً مرة أخرى عند ما يضيء أمامك أمل الحصول على رغبتك الجديدة ؛ وشقياً عند ما ينهار ما بنيت بسبب نكبة ما . والفقر الحقيقي أو الشقاء ليس في أن تملك القليل بل هو في أن تشتهي الكثير ، فلكي يكون المرء سعيداً عليه أن يكون قنوعاً فالقناعة كنز لا يفنى

السعادة التي تترجح من خيط واه إنما هي كرغبات محسوسة معرضة للسقوط والضياع . هذي السعادة مثلها في الخداع كمثل السراب

الرغبة ، والطموح ، والتأميل فيما هو أحسن ، كل أولئك ضروري للتقدم الإنساني ولا سيما إذا فسرت كما يجب أن تفسر فهي مبعث السعادة . ولكنه التفسير الذي يخفف كفة الصواب أو كفة الخطأ في الميزان . فإذا رغبنا في شيء صائب يستحق الاهتمام وجدنا طريقة أو أخرى نحصل بها عليه ويمكننا أن نعيش في الأمل سعداء . وعلى ذلك ، يجب علينا أن نذكر أن ليس هناك شيء مادي يستحق أن نزن كل سعادتنا به ؛ فإذا كانت رغباتك تهدر سعادتك ، فغربلها جيداً وانظر كم منها غير مجد ، ورض نفسك على أن تقذف به بعيداً

لا تكن متتبعاً لأولئك الأغرار الواهمين لأنه ينقصهم العقل ، إنهم يرون قشور الأشياء لا لبابها ، والشيء الذي يعوزهم هو المقدرة على التغلغل في أعماق الأشياء ، أي التفرس والتبصر والاستشفاف

إن المغنطيس الكهربي يجذب الحديد عند ما يسرى التيار في وحداته ، كذلك تجذب الشخصية السعادة عند ما يتدفق تيار عقل ثاقب في شعوره الداخلي . ربما يكون المرء محبوباً من شخص ومكروهاً من آخر ، والاتجاهات العكسية ما هي إلا محض رد فعل لفكرة فردية تتبعها مقارنة للشخص المعين طبقاً للفكر والمقاييس المعينة لرجل بعينه . والمرء يحتمل أن يكون في الحقيقة غير مستحق حب أحد له أو كراهية أحد ؛ أو ربما يستأهل حب كل منهما . ولكن شعورهما المحدود يمنعهما رؤية الحقيقة كاملة واضحة .

وهكذا يواجه الناس الحياة . وغالباً ما تكون التأويلات الشخصية هي التي ترق بالعقول التي لا تتسع لإدراك الأشياء إدراكاً شاملاً ، وبغير ذلك يضيع الكثير من الجمال والسعادة . فإذا أمكن الفرد أن يرى السعادة في شيء فلم لا يمكن أن يراها الجميع ؟ ألم يكن الفرق غالباً في عقل الفرد ؟

أنت لا يمكنك أن تكون سعيداً لأن عندك ما عندك ، ولكن لأنك تحب ما عندك . وقوة الحب والكراهية كامنة في نفسك ، واتجاهك الفردي نحو شيء وصلتك الشخصية به هي التي يعتد بها

ربما تكون هنا ، أو هناك ، أو في أي مكان ، فإذا أضاء

في دنيا الأحلام

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا أومن بالأحلام ولا أعيرها اهتماماً جدياً، لأني أعتبر أكثرها ناتجاً عن عوامل الغريزة المكبوتة والعقل الباطن، غير أني أقف حائراً أمام بعض الأحلام التي حلمتها وأصبحت بعد قليل حقيقة راهنة لا أحلاماً طارئة لا تتجاوز مخيلة النائم ولا تعدو فراشه

وكم تساءلت: أهي المصادفة تقضي بصحة بعض الأحلام أم هو الإلهام؟ ولكن ما هي المصادفة وما هو الإلهام؟ وكيف أعلل حدوثهما؟ لا أدري

وكل ما أدري أنني رأيت أربعة أحلام صح ثلاثة منها والرابع ما يزال غامضاً؛ وأرجح أنه سيظل غامضاً إلى ما شاء الله

حلمت وأنا في عهد التلمذة أن المفتاح الذي كنت قد أضعته وكان يهمني أمره كثيراً مطمور في التراب قرب شجرة قديمة العهد في قلب الملعب الشرقي في مدرسة الحكمة. وكنت قد فتشت عنه في كل مكان هناك دون جدوى، ثم وجدته في المكان نفسه الذي هداني إليه الحلم

أما الحلم الثاني فهو: كنت ذات ليلة جالساً في داري أطالع إحدى الصحف اليومية فجاءني ولد لا يتجاوز الثالثة من عمره وضرب الجريدة التي في يدي وطرحها أرضاً. ثم أخذ يداعبني مقهقهاً ويلاعبني راكضاً من كرسي إلى كرسي، ومن ناحية إلى ناحية. والغريب في الأمر أنني حلمت أن هذا الولد هو ولدي مع أني ما كنت أباً في ذلك الحين ولا متزوجاً

وبعد سنوات صح هذا الحلم بحذافيره، إذ كنت صباح يوم جالساً في المكان نفسه أطالع بعض الجرائد، فخرج ولدي من غرفته وهو دون الثالثة من عمره وتقدم نحوي وضرب الجريدة وأوقعها من يدي. ثم شرع يلاعبني ويركض مقهقهاً من مكان إلى مكان. وكان في لباسه وكامل هيئته يشبه تمام الشبه الولد الذي عاينته في الحلم

أليس من الغريب المدهش أن يشاهد المرء ولده في الحلم قبل

قلبك وسما عقلك ستشعر بالسعادة تغمر نفسك. أما إذا فكرت بأنك عوملت بأجحاف، أو إذا ظننت أنه لا يمكنك الحصول على ما ترغب، أو إذا لم يبدُ لك الجو جميلاً، فلا يمكن أن تملك إلا الحزن

عند ما تمطر السماء ويكفهر الجو وتتلبد السحب بالغيوم يشعر الكثيرون بالتعاسة إذ يقولون (أين هي الشمس؟ يا له من يوم عبوس!) ويفهم آخرون — وهم أسمى روحاً — أن هناك وراء تلك السحابة المليئة بالمياه المتدفقة شمساً لا تزال تشع. أليس من الخرق أن يُخدع بمثل نقاب رقيع كهذا أناس عقلاء ذوو حس؟ ومع ذلك فالحد الذي يفصل بين الفرح والحزن دقيق كما أنه خداع؛ مبهم لمن يميلون للظاهر، وواضح لمن أوتوا الإيمان والذكاء فيرون الحق من خلالها

إذا كان حب شخص هو ما تظن أنه سيجعلك سعيداً فلا تعتمد على ذلك الحب. أحبب بقوة ما استطعت ولكن لا تطلب الحب إن لم تر هناك استجابة. الحب الصادق القوي هو المثل الأعلى، ولكن إذا كان هناك تفاوت كبير في الطبع وأنت نفسك الشخص الذي لا يميل إلى التبادل فيحسن بك كثيراً أن تنقل انتباهك — مع إرادتك — إلى شخص آخر أكثر تلبية

والحب في صدق وإخلاص ورزانة يمكن أن نطلق عليه بسهولة مسألة انتباه Attention. انقل انتباهك، فينتقل حبك. وأنت لا تحب كل الملايين من الناس المحبوبين لأنك لا تعيرهم انتباهك، ولأنك لا تعرفهم معرفة ألفة، ولذلك لا يمكنك أن تفهم حياتهم. سيأتيك الحب بأخذك الاتجاه الإيجابي نحو الشخص الذي تحب واهباً لا سائلاً، معطياً خطتك الحكيمة الاعتبار والانتباه الضروريين ...

ثم إن التعاسة ناشئة معظمها عن أننا نتصور غيرنا أسعد حالاً منا، وعن أننا نريد أن نكون دائماً أسعد من سوانا ...

والشخص إذا أضاع كل شيء فعليه ألا يفقد الأمل وحب العمل. فالعمل المنتج يرفع القلب ويعلي الفكر ويشرف الشعور ويؤله النفس. وهل هناك سعادة فيما عدا ذلك أو في شيء غير ذلك؟

عبد العزيز جادو
دبلوم علم النفس وعضو نادي المتكلمين بانجلترا

مجيئه إلى العالم ؟ أإتفاقاً كان ذلك أم وحياً أم ماذا ؟

أما الحلم الثالث فهو : حلمت منذ أعوام أن أحد الأنسباء وهو شاب في ريق العمر ونشاطه قد قضى نحبه في أحد المستشفيات ؛ وبعد أيام قليلة جاءني رسول يبلغني خبر وفاته في المستشفى نفسه الذي حلمته ممدداً فيه على فراش الموت

وأغرب من ذلك أن الشاب كان يتمتع بصحة يحسد عليها فلم يدر بخلدي أدنى خوف على حياته . ولم يكن لدى من داع لحدوث هذا الحلم الذي أوحى إليّ بموته

أنا لا أدعي معرفة الغيب ولا ما يخبئه المستقبل في طياته ، ولست من مدّعي النبوة ، أنا رجل من طلاب الأدب والعلم لا من طلاب المعجزات والخوارق . لكني لا أنكر وجود قوة في الإنسان تستبق معرفة الحوادث . هذه القوة ما تزال مستترة على العلم لم يسبر غورها بعد ولم يتح له تحديدها

فكم مرة يفتكر المرء في أحد أصدقائه ولا يلبث حتى يراه أمامه . وكم مرة يتمنى أمراً فيتحقق لساعته ، وقد قيل : «اذكر الذيب وهيئ له القضيب»

أما الحلم الرابع فهو على جانب عظيم من الغرابة ، لا يمتّ بصلة إلى الشهوات المكبوتة التي يقال إنها تستيقظ في العقل الباطن في خلال النوم ، ولا يتعلق أيضاً بموت أو ولادة أو كسب أو خسارة أو بما شاكل ذلك مما يكثر حدوثه بين الأحياء فيملق بمخيلاتهم ويشغل أذهانهم ، فيأتيهم في الحلم

لا أزال أذكر أنني ليلة الحلم أويت إلى مخدعي قبيل منتصف الليل ، وبقيت أتقلّب على فراشي إلى ما بعد الساعة الثانية دون أن يغمض لي جفن من تكاثر قصف الرعود وتواصل هدير الزوابع والأمطار ، لأن الليلة كانت هائلة من أروع ليالي الشتاء برقاً ورعداً ومن أشدها برداً وزمهريراً

لم يتملكني النعاس إلا في الهزيع الأخير من الليل ولم أكد أستسلم إلى سلطان الكرى حتى نزل عليّ هذا الحلم ، فشعرت ساعة نزوله كأنني لست بالنائم ولا بالمستيقظ بل بينهما ، وما بينهما سوى عالم الرؤى — عالم الأنبياء والأولياء — ولا شأن لي في هذا العالم

حلمت أن صديقاً لي توفاه الله منذ عدة سنوات هبط مخدعي وانتصب أمامي قائلاً : أنتم معاشر الأحياء تعتقدون أن المرء الذي تغادره الحياة تغادره المعرفة ويبرحه الشعور ، فتنقطع كل صلة له بكم وبمالكم ، فيعود لا يدري ما يحدث بأوساطكم ولا يشعر بأعمالكم ولا بسرائكم وضرائكم ؛ وهذا خطأ فاضح ، فالميت لا يفقد غير الحركة والنطق اللذين كان بهما يظهر لكم معرفته وشعوره ، ولا يعني فقدانهما فقدان المعرفة والشعور ، بل فقدان الواسطة التي كان بها يتصل بكم

أجل ليس لدى الأموات ألسنة تتكلم ولا أجسام تتحرك لتعرب لكم عن معرفتها وإدراكها وشعورها بل هم بقوة الحياة الكلية — وقد أصبحوا جزءاً منها — غدوا أقوى منكم معرفة وأسمى إدراكاً وأشد شعوراً

كنت في الحياة الدنيا أعدّ نفسي ويعدّني الناس من فطاحل العلماء ، ومن أعاظم الدهاة الذين لا تخفى عليهم خافية ، وبعد الموت تبينت جهلي وجهل الناس تقدير إدراكي ومعارفي

فأنا الذي كنت أحسب عالماً لم أكن إلا على يسير من العلم ، وأنا الذي كنت أعدّ مدركاً لم أكن إلا على ذرة من الإدراك لأنني لم أعرف من شجرة الحياة طيلة حياتي إلا قشورها

كنت على جانب عظيم من الجهل لأنني لم أتمكن في الحياة من معرفة أقرب المقرّبين إليّ ، الذين كنت أساكنهم أو كانت تربطني بهم صلة من الصلات . أما اليوم فقد حرّرني الموت من الجهل ، ففدت علومكم التي كنت أتبجّح بمعرفتها بمثابة ألاعيب صبيانية أمامي ، وصارت دنياكم الحافلة بالرموز والأسرار والأحاجي مضيئة عن ظهر قلبي ، وبواطنكم المستترة التي لم أدرك كنهها في الحياة أصبحت اليوم واضحة حيال ذهني وضوح شمس الظهيرة

لقد كنت مخدوعاً حقاً في كثير من الأمور . مخدوعاً في معرفتي لنفسي ومعرفتي للناس . فجاءني الموت يعرفني بنفسي مبيناً لي مقدار قصورها وعجزها في المعرفة خلال الحياة . ويعرفني بالناس كما هم لا كما كنت أتوهم معرفتهم . لأنه أظهر لي ما تكنه طبائعهم من خفايا الغرائز والنزعات التي كانت غامضة عليّ كل الغموض

لقد كنت مخدوعاً بالمظاهر الخارجية إلى أقصى حد . فكم رجل كنت أحسبه صديقاً فكان عدواً . وكم إنسان كنت أعدّه مخلصاً فكان مخاتلاً . وكم رجل دين كنت أعتبره جم الفضائل فكان جمّ الرذائل . وكم امرأة كنت أعتقد بها الطهر والورع فكانت على غير ذلك

أما الآن فقد تجاوزت عالم الغش والخداع والتمويه إلى عالم الحقائق فأصبحت أرى كل شيء واضحاً جلياً . إني أطل عليكم من كوة هذا العالم – عالم الحياة الكلية وأرقبكم من نوافذها المشمة في دخائل أذهانكم وقلوبكم : وأتفقد أعمالكم وكل ما يصدر عنكم من خير أو شر . وإني لعالم بكل ما تظهرون وما تكتمون

ولست وحدي أعلم ذلك بل يعلمه مثلي كل من حرره الموت من قيود دنياكم وأصبح متحداً بالحياة الكلية التي تسبغ عليه نعمة المعرفة الكاملة

فالأموات يرونكم دائماً وأنتم لا تشعرون برؤيتهم إياكم ، ويتفقدونكم دائماً وأنتم لا تعلمون بتفقدهم لكم ، لأنهم أصبحوا أرقى منكم معرفة وأسمى روحاً وأنفذ بصيرة

فكم من رجال حولي يتطلعون إلى دنياكم ويرقبون فيها أبناءهم وأحفادهم ويرون ما آلوا إليه من الضنك والفقر على الرغم من كثرة ما أورثوهم من مال وعقار . فهم يشاهدون أموالهم التي اكتسبوها بعرق الجبين وادخروها لأبنائهم كيف تتبدد في الحانات والمواخير وأندية الميسر والخلاعة ، ويأسفون لضياعها في بؤرة الفساد ويتألمون لأنهم لم يعملوا بها عملاً مفيداً للجنس البشري بدلاً من توريثها لمن لا يستحقها

أما دنياكم فهي دنيا الحروب والمطامع – دنيا الرياء والأباطيل – دنيا الأخطاء والفواحش – دنيا الخوف والجهل والضعف . ولهذا نحن نشفق عليكم بالرغم من كثرة شذوذكم وتهربكم على الأخص من معرفة الحقيقة – حقيقة نفوسكم وحقيقة غرائزكم . كأن الحقيقة هي غول دنياكم تخشونها كما تخشون الموت ، والحقيقة وحدها هي رجاؤكم الفقيد . فخير لكم أن تظهروا على علاتكم بدلاً من أن تقنعوا بأقنعة الغش وتتستروا بها ، فهي لا تستركم عن وجه الحق . فالأقنعة فانية والحقائق باقية .

انتهى الحلم فاستيقظت فور انتهائه وأنا أردد عبارته الأخيرة . فقلت في نفسي هل الأقنعة الفانية هي أجسامنا التي نتعارف بها في هذا الكون ، والحقائق الباقية هي جوهر الحياة الذي لا يدركه الفناء . ثم عكفت على نفسي أسألها : كيف جاءني هذا الحلم ؟ وهل يحلم المرء بما لا يدركه وما لا يقع تحت حواسه ؟

ألا تبلغ المخيلة شأواً لا تبلغه الحواس ولا يصل إليه الإدراك ؟ أليس للدين الذي يلقن الإيمان بالحياة الأخرى ضلع أيضاً في هذا الحلم المرتكز على الإقرار الصريح ببقاء الحياة بعد الموت ؟

أليس لمعضلات الحياة الدنيا ومشاكلها أو بالأحرى ، أليس لتعطشي لمعرفة أسرارها وحل رموزها وأحاجيها يد في إلهام هذا الحلم الذي يملأني بكمال المعرفة بعد الموت ويشبع رغباتي وتمنياتي ولو في العالم الآخر بالوصول إلى ذروة الإدراك : إدراك حقائق الحياة وخفايا الكائنات ؟

(بيروت) **توفيق حسين الشرتوني**

٣ـ الألغاز في الأدب العربي

للأستاذ محمود عزت عرفة

ألغاز الفقهاء والنحويين

(أ) كان الفقه الإسلامي في نموه ، وانشعاب فروعه من أصوله ، أشبه شيء بالدوحة العظيمة أنشبت في الأرض جذورها ثم تطاولت إلى السماء بهيكلها ، وأرسلت أفنانها مكتسيات بالورق النضر في كل متجه فلم تدع تحتها مكاناً ضاحياً أو موضعاً غير ظليل

وفي العصر العباسي وما تلاه من عصور التدوين والتصنيف توسع الفقهاء في دراسة الفروع توسعاً لم يتركوا معه شاردة ولا واردة إلا أثبتوها ؛ وراحوا يفتنُّون في افتراض مواطن الشبه ، ثم الإفتاء فيها بما يزيل لبسها ، افتناناً ولجوا به باباً من التكلف والصنعة لم يحمد الكثيرون لهم مغبته لما قد صرفهم إليه من الحفول بالتوافه واستنفاد قوى التفكير فيما لا تعظم جدواه أو ينفع كثيراً علمُه

وقد أشرنا فيما قبل إلى ذيوع ما أسموه فتيا فقيه العرب ؛ ونذكر هنا أن جلة العلماء ورؤساء المذاهب منذ القرن الثاني لم يسلموا في مجالسهم وحلقات دروسهم ممن يتعرض لهم بأسئلة يرمي بها إلى تعجيزهم ، ويذهب فيها مذهب التعمية والإلغاز على نهج فتاوى فقيه العرب

ولم يكن بد لهؤلاء الأئمة من أن يجيبوا وإن صرفهم ذلك لحظة أو لحظات عما هم بسبيله من البحث المجدي والتحقيق المفيد

قال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي — المتوفى سنة ٦٠٦هـ — في كتابه مناقب الإمام الشافعي : اعلم أنه نقل أن الشافعي سألوه في بعض المسائل بألفاظ غريبة ، فأجاب عنها في الحال بألفاظ عربية ونحن نذكر بعضها . أحدها : قيل له : كم قُرء أم فلاح ؟ فأجاب على البديهة : من ابن ذكاء إلى أم شملة . والمراد بالقرء الوقت ، وأم فلاح الفجر وهو كنية الصلاة . والسؤال واقع عن مدة وقت صلاة الفجر ؛ وقول الشافعي رضي الله عنه من ابن ذكاء أي من وقت الصبح وهو كنيته ، إلى أم شملة وهي كنية الشمس أي إلى طلوع الشمس ... وسئل : هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال : لا ولا روايته . والخالق الكاذب قال تعالى : « إن هذا إلا خلق الأولين » وأورد الفخر الرازي أمثلة أخرى ، ثم ختم بقوله : فلنكتف بهذا القدر ، إذ لا يمدح الشافعي بمثله !

(ب) وقريب من ألغاز الفقهاء وفتاويهم — وإنهن لكثر — ألغاز أئمة اللغة

على أن هؤلاء لم يكتفوا بابتداع الألغاز ابتداعاً ، أو جمع ما قيل منها مقصوداً به التعمية حقيقة ، وإنما أضافوا إلى ذلك أشياء من كلام العرب فطنوا إلى إمكان إيجاد التعمية فيها ، وإن لم يقصد قائلوها ذلك . وأكثر هذا أبيات من الشعر القديم[1] « لم تقصد العرب الإلغاز بها وإنما قالتها فصادف أن يكون ألغازاً . وهي نوعان : فإنها تارة يقع الإلغاز بها من حيث معانيها وتارة يقع الإلغاز بها من حيث اللفظ والتركيب والإعراب » . ويسمى القسم الأول أبيات المعاني ، ومن أقدم أمثلتها قول الشاعر — يصف عقاباً صعد إلى موضع وكرها في يوم عاصف الريح :

ومحجوبة أزعجتها عن فراشها ... تحامى الحوامي دونها والمناكب
وخفاقة الأعطاف بانت معانق ... تجاذبني عن مئزري وأجاذب

ومن جياد أبيات المعاني في شعر المتأخرين قول النواسي يصف الكرم :

لنا هجمةٌ لا يدَّري الذئب سخْلها
ولا راعها غضُّ الفِحالة والخطرْ
إذا اختبرت ألوانها مال صقْوُها
إلى الحوّ إلا أن أوبارها خُضُر

وقوله من قصيدة يمدح فيها الفضل بن يحيى :

إليك أبا العباس من بين من مشى
عليها امتطينا الحضْرَمِيَّ الملسَّنا
قلائصُ لم تعرفْ حنيناً على طَلًى
ولم تدْرِ ما قرعُ الفنيق ولا الهِنا

قال ابن رشيق : « فذكر أن قلائصهم التي امتطوها إليه

(١) السيوطي في المزهر ج ١ ص ٢٣٨

نعالهم ، فأخرجه كما ترى مخرج اللغز ، واتبعه أبو الطيب فقال :

لا ناقتى تحمل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، والشسوع مقودها

ومن أبيات المعانى قول شاعر يصف أيام الزمان ولياليه (وهى الأسبوع) :

سبعٌ رواحلُ ما ينخْنَ من الونا
شيمٌ تُساق بسبعة زُهْرِ
متواصلات لا الدؤوبُ يملُّها باقٍ تعاقبها على الدهر

ولابن إسحق الجرمى (ت س ٢٢٥هـ) فى دودة القز :

وبنات جيب ما انقضت بعيشها وأدتهما فنفستني بقبور
ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها قرن الكباش إلى جناح طيور

وقال صردر ملغزاً بمجرة (توفى عام ٤٦٥هـ) :

ذاتُ أيدٍ ثلاثة أبدَ الدهـ ر ترى فوق رأسها أيديها
شربتْ ماستقيتها من شراب ثم تسقيك مثل ما تسقيها
خَرِمَتْ آذانها مَغابنُ أيديـ ها وبافواهها مقرٌّ لفيها

ولابن الخشاب يلغز فى كتاب (توفى فى سنة ٥٦٧هـ) :

وذى أوجه لكنه غير بائح بسر ، وذو الوجهين للسر مظهر
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه فتفهمها ما دمت بالعين تنظر

وقال شاعر يلغز فى (الإبرة) :

سمت ذات سمٍّ فى قميصى فنادرت
به أثراً ، والله يشفى من السمِّ !
كست قيصراً ثوب الجمال وتبَّعاً
وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وللحاتمى فى الباب (توفى عام ٣٨٨هـ) :

عجبت لمحرومين من كل لذة يبيتان طول الليل يعتنقان
إذا أمسيا كانا على الناس مرصداً وعند طلوع الفجر يفترقان

ألغاز فى اللفظ والتركيب والإعراب

مرت بنا أمثلة مختلفة لأبيات المعانى قديمها وحديثها ... أما الضرب الثانى من ضروب الألغاز وهو ما يستعان فيه بالإغراب فى « اللفظ أو التركيب والإعراب » فذلك ما تتضاءل جودته أمام النوع الأول ويصغر قدره دونه

وإن أثر التكلف والصنعة ليظهر فيه ظهوراً لم تعرفه العربية فى عصورها المتقدمة . وهو لا يعدو أن يكون - فى أكثر أمره - تمويهاً لفظياً سهل الإدراك قليل العمق ، لا يصعب على السامع فهمه ، ولا على المنشئ إيراد مثله

ومن أقدم نماذجه التى تلمسها اللغويون فى شعر الأوائل . قول الفرزدق :

يفلِّقنَ هاماً لم تنله سيوفنا بأسيافنا هام الملوك القماقم

قال ثعلب : ها حرف تنبيه ومَن استفهام . قال مستفهماً : من لم تنله سيوفنا ؟ وتقدير البيت : يفلقن بأسيافنا هام الملوك القماقم . قلت : فيكتب البيت هكذا :

يفلقن « ها ، من لم تنله سيوفنا ؟ »
بأسيافنا هامَ الملوكِ القماقم

وقال آخر :

عافت الماء فى الشتاء فقلنا بردِّيه تصادفيه سخينا

قال السيوطى : جوابه أن الأصل « بل رديه » ثم كتب على لفظ الإلغاز

ومن ذلك قول الآخر :

لما رأيت أبا يزيد مقاتلاً أدع القتال وأشهد الهيجاء

قال : يقال أين جواب لما ؟ وبم انتصب « أدع » ؟ ثم أوضحه بما خلاصته أن يكتب البيت هكذا . لن - ما رأيت أبا يزيد مقاتلا - أدعَ ... الخ

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

معنى البيت : أقول لعبد الله - لما سقاؤنا وهى أى ضعف ونحن بهذا الوادى - شِمْ ، أى شم البرق عسى يعقبه المطر ...

ونلاحظ أن هذا الضرب الأخير من الألغاز اللفظية لقى أنصاره والمتشيعين له منذ القرن الخامس الهجرى فما بعده ؛ وراج على ألسنة النظامين والسجاعين ممن آثروا جانب اللفظ على جانب المعنى ، وأنفقوا مجهودهم فى المحسنات البديعية والحلى اللفظية يرصعون بها صفحات منثورهم ومنظومهم . وكأنما الضرب الأول من أبيات المعانى قد ذهب بذهاب المطبوعين من أدباء اللغة ، وذوى القرائح المبتكرة فيها . وبقى هذا الضرب الأخير من التلاعب بالألفاظ يتمم الصورة الباهتة لحالة الأدب فى عصور

القضايا الكبرى في الإسلام

٥ - قتل حجر بن عدى

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هذه القضية من أكبر القضايا الإسلامية ، وقد قام المسلمون وقعدوا لها ، وعدوها على معاوية بن أبي سفيان في أربع عدوها عليه . روى ابن الجوزى بإسناده عن الحسن البصرى أنه قال : أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة ، وهى أخذه الخلافة بالسيف من غير مشاورة ، وفي الناس بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلاف ابنه يزيد وكان سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حُجْر بن عَدِيّ ، فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر

وهذا إلى ما بلغه عدد الشهود في هذه القضية ، فقد بلغوا فيها سبعين شاهداً ، ولم تصل إلينا قضية إسلامية بلغ الشهود فيها مثل هذا العدد ، وكل هذا يدل على ما لهذه القضية من الشأن في الإسلام ، وسنقوم بدرسها غير متأثرين فيها إلا بما يقضى به الشرع ، لأن حكمه فوق كل شخص ، ويجب أن يكون نافذاً في الناس كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ورفيعهم ووضيعهم

كان حجر بن عدى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد القادسية في خلافة عمر ، وشهد بعد ذلك الجمل وصفين وصحب علياً ، فكان من شيعته ، وكان من أعظم الناس ديناً وصلاة وعلماً ، ولكنه كان مغالياً في تشيعه ، حتى إنه لم يسترح لما استراح له الناس جميعهم من تسليم الحسن بن على لمعاوية ابن أبي سفيان . واجتماع كلمة المسلمين بعد ذلك الخلاف الذى كاد يقضى عليهم

وقد تم ذلك الصلح سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، فاستعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة ، وأوصاه فيما زعم المؤرخون ألا يترك شتم على وذمه ، والترحم على عثمان والاستغفار له ، والعيب لأصحاب على والإقصاء لهم ، والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم ، فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة وهو أحسن شيء سيرة ، ولكنه كان لا يدع شتم على والوقوع

انحطاطه ، وهو كما قلنا أيسر تأليفاً وأقل عمقاً من سابقه . ومن أمثلته المتأخرة قول ابن نباته ملغزاً في « القطائف » :

أحاجيك ، ما حلو اللسان وإنه لأبكم إذ تعزى إليه المعارف
يُرى جالساً في الصدر ما كان كاملاً فإن تقصوه فهو في الخلق « طائف »

وللشريف فتح الدين القنائى يلغز في « كمُّون » :

يأيها العطار أعرِبْ لنا عن اسم شيء قل في سومك
تبصره بالعين في يقظة كما ترى بـ « القلب » في « نومك »

وذلك أن مقلوب أحرف « نومك » هو « كمون » ...

وقال صلاح الدين الصفدى ملغزاً في « الفيل » :

أيما اسم تركيبه من ثلاث وهو ذو أربع ، تعالى الإله !
حيوان و « القلب » منه نبات لم يكن عند جوعه يرعاه
« فيك » تصحيفه ، ولكن إذا ما رمت عكساً يكون « في » ثلثاه

وقال آخر ملغزاً في « بلبل » :

وما طائر نصفه كله له في ذرى الدوح سير ولبث
رأينا ثلاثة أرباعه إذا صحفوها غدت وهي « ثلث »

وكانوا ربما يهوى أحدهم إلى درك من السخف بعيد فيقول :

يا من له الطول في المعالى وبالمعانى لنا يبصِّرْ
إني كما قلت في سؤالى ما مثل قولى نعم مقصِّر !

و « نعم مقصر » يرادفها « إى وان » ؛ فذلك لغز في « إيوان » بعث به على بن الحسين الموصلى إلى صديقه ومعاصره صلاح الدين الصفدى

وقريب منه قول شهاب الدين بن حجر ملغزاً في « صهباء » :

يا فاضلاً هو في الأحا جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى يبكى الحبيب : « اسكتْ رجَع ! »

(يتبع) محمود عزت عرفة

فيه ، والدعاء لعثمان والاستغفار له ، فإذا سمع ذلك حجر بن عدى قال : بل إياكم ذم الله ولعن ، ثم قام وقال : أنا أشهد أن من تذمون أحق بالفضل ، ومن تزكون أولى بالذم ؟ فيقول له المغيرة يا حجر اتق هذا السلطان وغضبه وسطوته . فإن غضب السلطان يهلك أمثالك . ثم يكف عنه ويصفح ، فلما كان آخر إمارته قال فى على وعثمان ما كان يقوله ، فقام حجر فصاح صيحة بالمغيرة سمعها كل من بالمسجد ، وقال له : مر لنا أيها الإنسان بأرزاقنا فقد حبستها عنا وليس ذلك لك . فقام أكثر من ثلثى الناس يقولون : صدق حجر وبر ، مر لنا بأرزاقنا ، فإن ما أنت فيه لا يجدى علينا نفعاً . وأكثروا من هذا القول وأمثاله ، فنزل المغيرة ودخل عليه قومه فقالوا : علام تترك هـذا الرجل يجترىء عليك فى سلطانك ؟ فقال لهم : إنى قد قتلته ، سيأتى من بعدى أمير يحسبه مثلى ، فيصنع به ما ترونه يصنع بى ، فيأخذه ويقتله

ثم توفى المغيرة فضم معاوية الكوفة إلى زياد بن أبى سفيان ، فقدم إليها من البصرة ، ثم قام فى الناس فخطبهم ، وترحم على عثمان وأثنى على أصحابه ، ولعن قاتليه ، ورجع إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حريث ، فبلغه أن حجراً يجتمع إليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، وأنهم حصبوا عمرو بن حريث ، فشخص إلى الكوفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ــ وحجر جالس ــ ثم قال : أما بعد فإن غب البغي والغى وخيم ، إن هؤلاء جموا فأشروا ، وأمنونى فاجترؤا على ، والله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم ، ولست بشىء إن لم أمنع الكوفة من حجر ، وأدعه نكالا لمن بعده

ثم أرسل إلى حجر يدعوه وهو بالمسجد ، فقال له أصحابه لا تأته ولا كرامة ، فرجع الرسول فأخبر زياداً بذلك ، فأمر صاحب شرطته أن يبعث إليه جماعة ، ففعل فسبهم أصحاب حجر ، فجمع زياد أهل الكوفة وقال لهم أتشجون بيد وتأسون بأخرى ، أبدانكم معى وقلوبكم مع حجر الأحمق ، هذا والله من دحسكم ، والله لتظهرن لى براءتكم أو لآتينكم بقوم أقيم بهم أودكم وصعركم . فقالوا : معاذ الله أن يكون لنا رأى إلا طاعتك وما فيه رضاك . فقال لهم : فليقم كل رجل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ، ففعلوا وأقاموا أكثر أصحابه عنه ، ثم بعث زياد صاحب شرطته إلى حجر وأمره أن يشد عليه وعلى أصحابه بالسيوف إن لم يتبعوه ، فأتاه صاحب الشرطة يدعوه فمنعه أصحابه من إجابته ، وحصل بين الفريقين قتال لجأ بعده حجر إلى داره ، ثم انتقل منها إلى دور بعض أهل الكوفة يختفى بها ، ولما ضاق عليه الأمر أرسل إلى محمد ابن الأشعث الكندى ليأخذ له من زياد أماناً حتى يبعث به إلى معاوية ، فجمع محمد جماعة ودخلوا على زياد فاستأمنوا له على أن يرسله إلى معاوية فأجابهم ، فأرسلوا إلى حجر فحضر عند زياد ، فلما رآه قال : مرحباً بك أبا عبد الرحمن ، حرب فى أيام الحرب ، وحرب وقد سالم الناس ، على أهلها تجنى براقش . فقال حجر : ما خلعت طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإنى لعلى بيعتى . فقال زياد : هيهات هيهات يا حجر ، تشج بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذا أمكنن الله منك أن نرضى ، كلا والله . فقال حجر : ألم تؤمنى حتى آتى معاوية فيرى فى رأيه ؟ فقال زياد : بلى قد فعلنا ، انطلقوا به إلى السجن

ثم بعث زياد إلى أصحاب حجر حتى جمع منهم اثنى عشر رجلا فى السجن ، ودعا رؤساء الأرباع وهم عمرو بن حريث وخالد بن عرفطة وقيس بن الوليد وأبو بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وقال لهم : اشهدوا على حجر بما رأيتم منه ، فشهدوا أن حجراً جمع إليه الجموع ، وأظهر شتم الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ، وزعم أن هـذا الأمر لا يصلح إلا فى آل أبى طالب ، وأن هؤلاء النفر الذين معه هم رؤوس أصحابه ، وعلى مثل رأيه وأمره

وقد نظر زياد فى شهادتهم فقال : ما أظن هـذه الشهادة قاطعة ، وإنى لأحب أن تكون الشهود أكثر من أربعة . فكتب أبو بردة شهادة غيرها قال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هـذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبى موسى لله رب العالمين ، شهد أن حجر بن عدى خلع الطاعة ، وفارق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل كفرة

سلماء[1]. فقال زياد : على مثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجهدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق . فشهد عليها سبعون شاهداً من وجوه أهل الكوفة

ثم بعث زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية ومعهم هذه الشهادة ، فحبسهم بمرج عذراء ، وكتب إلى زياد : أما بعد فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حجر وأصحابه ، وشهادة من قِبَلكَ عليهم ، فنظرت في ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم ، والسلام

فكتب إليه زياد : أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجة في هذا المصر فلا تردنّ حجراً وأصحابه إليّ

فلما قرأ معاوية كتابه أمر بقتل حجر وسبعة من أصحابه ، وعفا عمن بقي منهم بشفاعة بعض أصحابه من قومهم ، وكان مالك بن هبيرة السكوني قد قال لمعاوية : يا أمير المؤمنين دع لي ابن عمي حجرا . فقال له معاوية : إن ابن عمك حجرا رأس القوم ، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد على مصري ، فيضطرنا غداً إلى أن نشخصك وأصحابك إليه بالعراق . فلما قتل معاوية حجرا اعتزل مالك معاوية في منزله ، فأرسل إليه معاوية أن يأتيه فأبى ، فبعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفعك في ابن عمك إلا شفقة عليك وعلى أصحابك أن يعيدوا لكم حرباً أخرى ، وإن حجر بن عدى لو قد بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر . فقبلها وطابت نفسه ، وأقبل إليه من غده في جموع قومه حتى دخل عليه ورضي عنه

ولكن كثيراً من الناس لم يقبلوا هذا العذر من معاوية في قتل حجر وأصحابه ، وأنكروا عليه هذا الحكم إنكاراً شديداً ، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لو لا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيّرنا قتل حجر ، أما والله إن كان ما علمت إلا لمسلماً حجّاجاً معتمراً . وقد رثته هند بنت زيد الأنصارية وكانت تشيّعُ فقالت في رثائه :

ترفع أيها القمر المنير ... تبصّر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ... ليقتله كما زعم الأمير
تجبّرت الجبابر بعد حجر ... وطاب لها الخورنق والسدير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً ... ولم ينحر كما نحر البعير
فإن يهلك فكل زعيم قوم ... من الدنيا إلى هلك يصير

والذين لا يعذرون معاوية في قتل حجر يرون أن ما حصل منه لا يحل به سفك دمه ، لأن دم المسلم حرام ما لم يرتد عن دينه أو يسفك دم غيره ، وقد حملوا في ذلك آية الحرابة على خلاف ظاهرها ، وهي قوله تعالى في الآية — ٣٣ — من سورة المائدة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) فذهبوا إلى أن أو في هذه الآية للتفصيل لا للتخيير ، وعلى هذا يكون جزاء أولئك المحاربين أن يقتلوا إذا قتلوا ، وأن يصلبوا إذا قتلوا وأخذوا المال ، وأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إذا أخذوا المال ولم يقتلوا ، وأن ينفوا من الأرض إذا أخافوا الناس ولم يأخذوا مالاً ولم يقتلوا

ولا شك أن هذا كله خلاف ظاهر الآية ، ولهذا ذهب كثير من السلف إلى أن أو فيها للتخيير لا للتفصيل ، فيكون ولي الأمر مخيراً في هذه العقوبات يجتهد فيها على ما تقتضيه مصلحة الدولة ، ولا يتقيد فيها بتلك القيود السابقة ، وقد أخذ معاوية بهذا في حكمه على حجر ، ورأى أنه أمام فتنة إذا لم يأخذ فيها بأقصى العقوبة استطار شرها ، ويكون في ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قتل حجر وأصحابه ، وقد كان له أن يأخذ في ذلك بأخف هذه العقوبات وهو النفي من الأرض ، ولكنه استعمل فيه حقاً أباحه له الله تعالى ، وله في ذلك اجتهاده الذي يعذر فيه ولو كان خطأ ، ولو أنه استعمل في ذلك أخف هذه العقوبات لكان أولى وأحسن

وكان على حجر وأصحابه أن يتعظوا بتلك الفتن التي ذهبت فيها دماء من لا يحصى من المسلمين ، وقتل فيها خليفتان من الخلفاء الراشدين ، وأن يسعهم في ذلك ما وسع من كان أعلى منهم مقاماً ، وأعظم شأناً ، وأقوى كلمة ، من كبار المهاجرين

(1) يرى في هذا أن الخروج على الإمام والجماعة كفراً

والأنصار ، وزعماء قريش وغيرها من القبائل ، وما كان لهم أن يتكلموا وقد سكت الحسن والحسين وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم ممن يجب أن يرجع إليهم في ذلك الأمر ، ولا يذكر حجر وأصحابه بجانبهم ، لأنه لم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل

وقد يقال إن حجراً وأصحابه كانوا على حق في ثورتهم للعن علي رضي الله عنه ، ولكن حقهم في ذلك يضيع بما كانوا يذهبون إليه من لعن عثمان ومعاوية ، وقد كان منهم عمرو بن الحمق الذي كان يزعم أنه طعن عثمان تسع طعنات بمشاقص معه ، على أن كثيراً من المؤرخين ينكرون ما روى من أن بني أمية كانوا يلعنون علياً على المنابر ، وقد ذكر من روى ذلك أن الحسن طلب إلى معاوية في صلحه معه أن يكف عن شتم علي فلم يجبه إليه ، فطلب ألا يشتم وهو يسمع فأجابه إلى ذلك ولكنه لم يف به ، ولا أدري كيف يعقل هذا مع أن معاوية كان قد جعل الأمر بعده للحسن ، وما أظن الذي كان يتلى على المنابر يتعدى لعن قتلة عثمان ، فكانت شيمة علي ترى أنهم يقصدونه بذلك ، وكان يؤلمهم ذلك اللعن ، لأن كثيراً منهم اشترك في ذلك القتل

عبد المتعال الصعيدي

على هامش النقد

من الشعر الجديد

للأستاذ محمد محمود رضوان

يأبى شعراء الشباب الذين يحمل عليهم الأستاذ الكبير « ا . ع » ، ويأبى الذين يناصرونهم من الشيوخ أن يقروا هذه الحملة إلا أن تكون مدعومة بأمثلة من هذا الشعر توضح نهجه وتكشف عواره إن كان فيه عوار

والأستاذ « ا . ع » يأبى ذلك ولا يرضاه ، ولعل عذره أنه لا يهاجم أشخاصاً ، بل يريد إصلاحاً فما به من حاجة إلى إثارة شاعر بعينه أو تجريحه

وللأستاذ في ذلك رأيه ، ولكن ها هو ذا شاعر من شعراء الشباب يقدم نفسه ، ويعرض على الأستاذ الكبير قصيدة من شعره - لعلها من أحسن بضاعته - ثم يسأله رأيه في هذا الطراز من شعر الشباب

وما على الأستاذ الكبير لو أجابه ؟ إنه لم يفعل . حينئذ رأيت - وأنا ممن يضيقون بهذا الشعر الجديد - أن أكفيه الجواب ، وأتولى عنه بعض ما أشركه فيه من رأي في هذا الشعر

أما هذه القصيدة فهي « أين الطريق » ، وصاحبها هو الشاعر الشاب الأستاذ علي شرف الدين

— ١ —

وقبل أن نناقش القصيدة يجدر بنا أن نتساءل ، أهي من الشعر الجديد حقاً حتى يمكن أن نتخذها أنموذجا ننتهي من دراسته إلى الحكم لهذا الشعر أو عليه ؟ أو بعبارة أخرى هل يرضى شعراء الشباب الذين يحوم حولهم النقاش أن تمثل هذه القصيدة مذهبهم الجديد ؟

أما أنا فأرى أنها جمعت القديم والجديد معاً . أخذت من القديم شيئاً ومن الجديد أشياء ، هي من القديم في وحدة موضوعها ، ومن النادر أن ترى قصيدة في هذا الشعر الجديد تدور حول موضوع مؤتلف تتسلسل أفكارها وتتواكب معانيها لبلوغ هدف واحد ، بل إنك ترى القصيدة - من هذا الشعر - فجوات لا اتساق بينها ، يطرق الشاعر معنى ثم يوغل فيه بأنماط من التشبيهات والاستعارات المتعسفة والأخيلة البعيدة حتى لتخرج منه بفكرة مشوهة غير محدودة ، ثم ينتقل بك إلى آخر لا يمت إلى سابقه بوشيجة وهكذا دواليك ، حتى تنتهي من القصيدة ، التي قد تبلغ المائة من الأبيات - وما ظفرت منها بهدف أو عرفت بين أفكارها نسباً .

أما قصيدتنا فهي إلى القديم أقرب من هذه الناحية ، تفهم من عنوانها (أين الطريق) ما في نفس الشاعر من حيرة . يبدؤها بيأس من الحياة جره عليه احترافه الأدب ، ثم يمضي في وصف هذا اليأس وكيف أدرك قيمة الحياة فنفض منها كفه ومات شعوره فما يحس فرحا أو حزناً ، ثم يخاطب أمه وأباه فيشكو إليهما أساه وحاله اليائسة ، ويتساءل أذلك من غضبهما

عليه أم لكثرة ذنوبه ؟ ويذكره ذلك بأيام الصبا فى كنفهما فيتحسر علي تلك الأيام الذواهب ، كما كان يتحسر عليها الأقدمون من الشعراء ، ثم يذكر همته التى طمحت إلى المجد فكبا دونه سالكا فى ذلك سبيل الاستعارة ، فإذا المجد جبل مرهوب المناور أملى الشباب عليه أن يرقاه ولا زاد له إلا الأعصاب والفصحى فتمزقت كفه ودميت قدماه ، ولكن لا عجب فقد تكشفت له محنة الأكفياء ونكبة الأدباء فى هذا البلد العجيب

— ٢ —

ولو أنك نظرت إلى هذه المعانى التى طرقها الشاعر لم تجد فيها شيئاً جديداً يمكن أن نعده من سمات الشعر الجديد إلا انتحاءها ناحية اليأس المرير يطالعك فى مطلع القصيدة ويصاحبك فى كل بيت من أبياتها حتى تأتى على آخرها

عافى الله الأستاذ حبيب الزحلاوي إذ يقول « إن الشعر روح وإن الحياة الشعرية التى لا تفيض بالنعمة ولا تشيع السرور بالنفس والفرحة بالوجود ليست بحياة »[1]

وأى أمل ترجوه فى شعر يدعو إلى اليأس ويثبط الهمة ويجعل الدنيا ليلاً حالكا

لم يبلغ الأمل البعيد قال لليأس القريب
أصبحت رسماً حافلاً باليأس والصمت الرهيب

هذه النغاصة التى تفيض على القصيدة من أولها إلى آخرها هى من أبرز سمات الشعر الجديد . كأن الشاعر لا يعرف قدره إلا أن شاع فى شعره اليأس والحزن والأسى

نعم ... لقد ردد القدماء بؤس الأديب وشقاء من أدركته (حرفة الأدب) ورأينا هذا المعنى كثيراً فى شعر الحريمى وأبى تمام وأبى العلاء ولكننا لم نر منهم شاعراً يناقض شعره حياته ويقول غير ما يحس ، لم نر منهم من كان فى حياته راضياً وفى شعره ساخطاً كما نرى فى هذه الأيام . بل رأينا من كان فى حياته وشعره راضياً كأبى نواس ، أو فيهما ساخطاً كأبى العلاء . أما التلفيق بين رضا الحياة وسخط الشعر فبدع لم نره إلا عند سادتنا شعراء هذا الزمان

(١) العدد ٥٦٣ من الرسالة

إنك لترى الشاعر فى أيامنا هذه وحياته كلها مرح ولهو ومجون وانبساط ، فإذا أمسك القلم لينظم رأيت الدموع والحسرات واليأس المر كأنه لا يكون شاعراً إلا إذا ركب زورقاً من الأحزان فى بحر من العبرات

إن شاعراً كعبد الحميد الديب — رحمه الله — إذا شدا فى شعره بالبؤس والشقاء فلا بدع ، لأنه كان بائساً شقياً فهو يصور حاله التى يعانيها ، ويصف حياته التى يقاسيها — وهذه هي مهمة الأدب

أما شاعر كطاهر أبو فاشا — وهو معروف بمرحه ولهوه وازدحام حياته بأساليب المزح والدعابة — فلن نقبل منه هذا الشعر القاتم الحزين الذى تلمحه حتى فى عنوان ديوانه (الأشواك) فتحس منه الوخز وتلمس الدماء ... وما أحسب هذا الشعر إلا أثراً من آثار التقليد بين شعرائنا المحدثين من الشبان . سرى فيهم فسموا دواوينهم (ألحان الألم) و (الدماء) وغير ذلك من الأسماء

نعود إلى قصيدتنا فنقول إنها خالفت الشعر الجديد أيضاً فى وضوحها . فليس فيها فكرة غامضة كهذه الأفكار التى يكتظ بها هذا الشعر ، وعجيب من الأستاذ البشبيشى أن يضع هذا الغموض بجانب ما فى شعر أبى تمام والمتنبي والمعرى وابن هانىء وشوقى والزهاوى من عقد فى الخيال حيرت الباحثين أزماناً[2]

شتان ياسيدى ما بين غموض منشؤه عمق الفكرة ودقة التصور ، وغموض منشؤه خطأ الفكرة وفسادها . هذا غامض لأنه يحتمل كيت وكيت من أوجه التأويل والتخريج وكلها صائب . أو لأنه عميق بعيد الغور حتى إذا كشفت عن معناه وأسفر لك وجهه هششت له وانشرح صدرك

أما ذاك فغامض ، لأنه لم يبن على أساس من الفكر الصحيح فهيهات أن ينكشف لك فيه وجه — لأنه لا وجه له — إلا مع تعسف لا يحتمله اللفظ ولا تطيقه العبارة

هل قرأ أستاذى البشبيشى بيت أبى تمام فى الخمر :

جهمية الألفاظ إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

(١) الرسالة العدد ٥٦٤

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٥٣ — أحق الناس بستر هذا الشعر أنت

قال أبو الفرج : تقدم رجل إلى عبيد الله بن الحسن ابن الحصين بن أبي الحر وهو قاضي البصرة مع خصم له ، فخلط فى قوله ، فتمثل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يدرى ويخطى وما درى
وكيف يكون النوك إلا كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يدنيني منه لأقول شيئاً فعل ، فقال له : ادن . فقال له : إن أحق الناس بستر هذا الشعر أنت، وقد علمت فيمن قيل (وكان قد قيل فى جد عبيد الله) فتبسم عبيد الله وقال له : إنى أرى فيك مصطنعاً فسر إلى منزلك وقال لخصمه : رح إلى فنرم له ما كان يطالب به

٥٥٤ — اعتاد بدنى ما تعتاد وجوهكم

فى (الكامل) : يروى عن الأصمعى أنه رأى رجلاً يختال فى أُزَيِّر[1] فى يوم قُر فى مشيته ، فقال له : ممن أنت يامغرور ؟ فقال أنا ابن الوحيد أمشى الخيزلى[2] ، ويدفئنى حسبى . وقيل لآخر فى هذه الحال : أما يوجعك البرد ؟ فقال : بلى (والله) ، ولكننى أذكر حسبى فأدفأ . وأصوب منهما قول العريان الذى سئل فى يوم قر عما يجد ، فقال : ما على منه كبير مئونة ، فقيل : وكيف ؟ فقال : دام بى العرى فاعتاد بدنى ما تعتاد وجوهكم .

٥٥٥ — إذا نكر انصرف

كان الزمخشرى فى جوف الكعبة مشغولاً بتأليف الكشاف، فجاء الإمام عمر النسفى ، وقرع باب الكعبة . فقال الزمخشرى : من على الباب ؟ فقال النسفى : أنا عمر

فقال الزمخشرى : إذا نُكِّرَ صُرِف

٥٥٦ — فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً

قال أبو حيان التوحيدى : سمعت الشيخ أبا حامد (الأسفراينى) يقول لطاهر العباداني : لا تعلق كثيراً لما تسمع منى فى مجالس الجدل ، فإن الكلام يجرى فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا فى الكلام ، وإن كنا فى كثير من هذا نبوء بغضب الله (تعالى) فأنا مع ذلك نطمع فى سعة رحمة الله[3]

---

(١) أزير مصغر أزار

(٢) هو عمى الخيزلى والخوزلى إذا تبختر (التاج) مشية فيها تثاقل وتراجع وتفكك (اللسان)

(٣) تاج الدين السبكى : هو طمع قريب فان مايقع من المغالطات و... غالبات فى مجالس النظر يحصل به من تعليم إقامة الحجة ونصر العلم وبعث الهم على طلبه ما يعظم فى نظر أهل الحق ، ويقل عنده قلة الخلوص ، وتعود بركة فائدته وانتشارها على عدم الخلوص ، فتقرب من الاخلاص إن شاء الله

قرأ قارىء فى مجلس الامام الاسفراينى : (الذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فساداً) فقال أما العلو فقد أردنا ، وأما الفساد فما أردنا

وهل فكّر أى مذاهب الجهمية يريد ؟ وهل قرر ما يحتمله البيت من تأويل وتخريج ؟ وهل تذوق النشوة التى يتذوقها من يتكشف له وجه يرضيه من قصد أبي تمام بهذا البيت ؟

وهل قرأ قوله :

هن عوادى يوسف وصواحبه
فعزماً فقدما أدرك النجح طالبه

وفكر فى هذا الغموض ما مصدره ؟ وهل بنى على أساس صحيح أم فاسد ؟

ومع هذا فإن أبا تمام لم يسلم من الملامة بسبب هذا الغموض الذى له وجه ، فكيف تريدنا على أن نرضى من شعرائنا الجدد غموضاً ما له وجه ؟ بل ولا عين !

(البقية فى العدد القادم) محمد محمود رضوان

من خريف الربيع

[إلى حمامة أبريل ! ...]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذَهَبْتُ لِلرَّوْضِ فِى صَباحِ
مُقيدِ اللَّحن ، والجناحِ
وفيـــه ما فِىَّ من أغانٍ
مَطلُولةِ الشـــدو بالجراحِ
أوتارُ أطيـاره سُـــكارَى
يَعْـزِفنَ وَجْدَ الحب نارا
سعيرُها خمـــرةُ الحيارَى !
حَثَّتْ إليه الرُّؤَى خُطاها
وخلفها انسابت الدُّموعُ !

***

سِيَّانِ فِى قبضـةِ الرِّياحِ
شَوْكُ الجلاميدِ ، والأقاحى
فكم رحيقٍ بلا دِنانٍ !
وكم دِنانٍ بغـــير راحٍ !
وكم رَبيع لنـا تَوارَى
تَوَدُّ لو كانت العـــذارَى
لِسِحْره الغائب انتظارا
ماتتْ ليـاليهِ فى صِباها
فهل لأحلامها رُجـوعُ ؟ !

***

وكم خريف بلا زهـــور
ولا أغانٍ ، ولا طيور
يلوحُ مُسْتَيْقظ الشُّعور
كأن فجراً عليــه سارا
مُتَيَّمَ النُّـــور مُستطارا
كنشوة حَلَّتِ العِذارَا
ونغمة وقرت شجاها
وما لها فى الرُّبى سميعُ !

***

رأيتُ عُشّـا على نخيـــل
كهجعة نجمـــة الفَليل
رَيّانَ بالنوْحِ والعَويل
هـــديله فى الصباح طـارا
فضج للدوح واســـتجارا
ناحتْ بأشـــواقه جيهارا
حمـــامة مزقتْ حشاها
وخان أحلامها الرَّبيع !

***

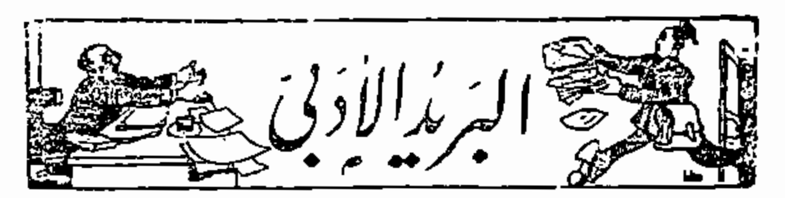
وأنَّ تحتَ الظلال جـــدولْ
يجرى ... ولكنه مُكبَّلْ
كخاطـــر فى دجى تَنقَّل
إن قلت : أقبِلْ ! أرى نِفارا
أو قلت : أبعِد ! دنا ، وزارا
كطائر فى الشِّباك ثارا
وأنَّة فى الحشا طـــواها
سجن يُسمونه الضلوع !

***

حزينةٌ أنتِ يا ظـــلالُ ؟
أم فيك نفسٌ بهـــا ملالُ ؟
أحاطنا الحبُّ والجـــالُ
وأنتِ مِثـــلى كتمتِ نارا
وتنفُضينَ الأسى عِطارا
لبستِ من حَيْرتى دِثارا
ولُحتِ تَشكَى تُريدُ فَاها
يبكى به قلبهـــا الصديعُ !

***

وأنتَ يأيُّهـــا الحزينُ !
يا شاعراً شفَّه الحنينُ ...
أَلْقِ مَزاميرَكَ الأنينِ
فى ظُلْمة لم تجـــدْ نهارًا
فـــدقَّ إنشادُها ودارًا
كغُرْبة ضـــلَّتِ الدِّيارًا
فطَنَبتْ فى الرُّبَى أساها
والرَّوض من حولها خليعُ ! !



٨ — الشعر الجديد

أوضحت فى هذه الأحاديث آرائى فى «الشعر الجديد» مطلقة صريحة . وكانت قد تجمعت لدىّ من مطالعات طويلة . وكنت أهم أحياناً بتقييدها ، وأنساها أحياناً ، حتى كان أن فتح «الأستاذ الجليل» هذا الباب . فلممت شعث ما تفرق منها فى ذاكرتى ، وجهرت بها مستهدفاً وحدى لغضب الغاضبين ؛ فإن جلة النقاد قد آثروا العزلة ، واعتصموا بالسكوت ، لما قدمت فى كلمتى الأولى . ولقد وددت لو كنت قد خرجت من الإجمال إلى التفصيل ؛ ولكنى جانبت الأشخاص ، لما أسلفت ، وعمدت إلى «المدرسة» — كما يعبر الآن — وهى تجمع ما تفرق من خصائصهم ، وتضم شتات مميزاتهم

ولا شك عندى أن الذين تتبعوا كلماتى وتأملوها فى إنصاف وعدل ، قد أدركوا أى صنف أعنى من الشعراء ، وأى نوع تنتظم هذه الصفات التى عنيت ببسطها ، وجهدت فى تحديدها — فلا يغالطن مغالط بعد هذا — أنى أعنى فلاناً أو فلاناً من شعرائنا ذوى المكانة فينا ، أولئك الذين أجمعنا على تمجيدهم ، لا الذين يتلمسون شهرتهم بين فئة قليلة من المعجبين

والآن آنَ أن أتحدث إلى الكاتب الفاضل الأستاذ دريني خشبة فى بعض نقداته ، كما وعدت أن أفعل .

قال الأستاذ[1]: «لقد أنكر الأستاذ جميع الشعر العربى بعد البارودى وشوقى وحافظ . . . وأشفق من الشعراء الشيوخ الأجلاء الذين لا يزالون على قيد الحياة ، والذين يعتز بهم الشعر العربى . . . الخ»

أقول : يشير الأستاذ الى مقالى بالرسالة[2]. فقد قصرته على هؤلاء الصلية الأمجاد ، وضممت إليهم صبريا — وإن كان كثير غيرى لا يذكرونه فى حلبتهم — لأوجه من الشبه كثيرة بينه وبينهم . وقد رجعت إلى هذا المقال ، فإذا هو خلو من هذا الإنكار . ولعله توهمه من قولى : «فلما خلا الميدان من هؤلاء الفرسان ، ودالت أيامهم ، سدلت على المسرح الستارة . ثم عادت فارتفعت . فإذا مشهد عجب ، وإذا الحال غير الحال ، وإذا نحن أمام فوضى النظم والنظام ... الخ» فهذا يا سيدى لا يدل بمنطوقه ولا بمفهومه — فيما أدرك أنا — على أنه لم يكن بيننا إذ ذاك شعراء من الطبقة الأولى ، بدليل قولى : «فوضى النظم والنظام» ؛ فإن كلمة «النظام» إنما تطلق فى العرف العام على القارضين الذين ينظمون ولا يشعرون[1]؛ فهذه الفوضى لا نعرفها فى أثناء حقبة شعرائنا هؤلاء . وإنما شاعت بعدهم هذا الشيوع الذى نلمسه الآن . أما قولى : «إن تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، وإن نجم بينهم من يعترف لهم بالاقتدار وسمو الشاعرية» ، فدليل آخر يشهد لى . ومعنى كون تلك الحقبة لا تعبر إلا عنهم وحدهم ، أن لهم ميزات اشتركوا فيها جميعاً ، فأفردتهم بين شعراء جيلهم . فهم فصل قائم برأسه فى تاريخ الشعر الحديث . وهكذا يجب أن يكون فى تاريخ الأدب المصرى

على أنى مع ذلك عند عقيدتى الثابتة فيهم — وهى عقيدة جمهرة المتأدبين فى العالم العربى — تلك هى أنهم لا يزالون يتسنمون المكانة الأولى بين الشعراء لهذا العهد . والفلك الدوار قد يجود بأمثالهم وبأعظم منهم . فليرقب الفلك الدوار

وقال الأستاذ الفاضل : «أمن العدل أن يحدثنا عن قصيدة لم نرها ، لنحكم إن كان إنكاره منها ما أنكر حقاً ، أوليس من الحق فى شىء ؟ وهل من العدل أن يجحد شعراء الشباب عامة ، لأن تلك القصيدة لم ترقه ؟»

أقول : ليرجع الأستاذ إلى مقالى الأول خاصة ، ومقالاتى بعد ذلك ، ليرى أبان أنا أحكامى جميعاً على تلك القصيدة وحدها ؟ وليراجع سيدى المقال الذى تعرضت فيه لهذه القصيدة ، ولينظر ما قلت هناك . وإذا كان الأستاذ يحكم هذا الحكم من غير أن يقرأ كلامى حق القراءة ، فما حيلتى ؟ وما حيلتى أيضاً أن يسيغ

(١) عدد ٦١٠ ص٢٩٨ من الرسالة (٢) عدد ٥٠٩ ص٢٠٨

(١) من العصر

أن يكتب مثلى سبعة أحاديث مستنبطاً آراءه فيها من قصيدة واحدة ؟

وهل فى كلامى ما يشير أو يدل على أنى « أجحد شعراء الشباب عامة ؟ » لا يا سيدى . إنى حكمت على فئة كبيرة تسنى لها — بعوامل مختلفة — أن تنشر شعرها بين ظهرانينا . وهو شعر هزيل فى ألفاظه وتراكيبه ومعانيه . فليس معنى هذا ألا يكون من بين شعر هؤلاء الشباب ما يُستجاد أو يستملح . ولولا أنى لزمت الصمت عن الأشخاص فى هذه الأحاديث لمثلت

أما « نبش قبور الموتى » و « سرقة أكفان النائمين تحت التراب » ... الخ . فهذه ألفاظ معادة ، نسمعها دائماً فى معرض الازدراء بالقديم أو التنفير منه . فنضرب عنها صفحاً

وقال الأستاذ أيضاً من مقال آخر[1]: (وخامسة الأثافى ، أو داهية الدواهى ، ما وقعت فيه من أسبوعين من الخطأ الشنيع فقد ذكرت فى كلمتى . . . طائفة غير قليلة من الشعراء الشباب فى مصر ، على أنهم بعض من يمثل شعرنا الحديث . وكان هذا الخطأ سبباً فى إثارة بعض هؤلاء الشعراء أنفسهم ، فقد ساءهم أن تحشر أسماؤهم على هذا النحو الزرى فى ذلك الثبت الطويل من أسماء الشعراء) . ثم قال : (ولكن الضحك فى هذا الأمر غلو بعض من تقموا منى ذكر أسمائهم فى ثبت الشعراء هؤلاء ! لقد أقبل أحدهم ثائراً كالعاصفة ، ونكش شعر رأسه (نكشة) أفزعتنى ، ولست أقول إلا الحق ! ثم راح يتهمنى بأنى أناقض نفسى حين أعلن استجادتى لشعر هؤلاء (الـ . . .) . ثم قال : (والظريف أن الذين أنكر عليهم صديقى « العاصفة » شاعريتهم ، كانوا شعراء من الطبقة الأولى عند صديق آخر سعى إلىّ ليعلن احتجاجه للسبب نفسه ... الخ .)

هذا ما رأينا اقتباسه ضرورياً من كلامه

فانظر إلى هؤلاء الشعراء كيف ينكر بعضهم شاعرية بعض على هذه الهيئة الغريبة !

وهل بعد تصور الأستاذ دريني خشبة لهذا المنظر البديع ، نحتاج إلى شرح أو تعليق ؟

« انتهى الحديث »

(ع . ا)

(1) عدد ٦٣ ص ٣٢٥

جائزة أدبية

فى عدد المقتطف الصادر فى شهر مايو نشر الشاعر بشر فارس قصيدة عنوانها « إلى زائرة »

قرأت القصيدة ، ثم قرأتها مرات ، ثم أعدت قراءتها فى أوقات متفاوتة ، وكنت ، عقب كل قراءة ، أعود بالخيبة من عدم الفهم ؟ ! ولكن هل فى أداة تفكيرى عطب أو تلف ، وقد قرأت وفهمت أكثر ما نشر فى ذلك العدد من المقتطف من بحوث فى العلم والفلسفة والأدب ؟

يحسن بى إذن أن أشرك قراء الرسالة معى فى قراءة هذه القصيدة وأتعهد بجائزة مالية قدرها خمسة جنيهات مصرية ، أدفعها إلى من يستطيع فهم معانى تلك القصيدة وشرحها ، ولا أستثنى قراء العربية فى سوريا ولبنان وفلسطين والحجاز والعراق ، وقد أودعت المبلغ فى إدارة الرسالة . وهذه هى القصيدة :

إلى زائرة

لو كنتِ ناصعة الجبين   هيهات تنفضنى الزياره
ما روعة اللفظ المبين ؟   السحر من وحى العباره

ظِلٌّ على وَهج الحنين   رَعْشتـه معجزة الإشاره
خطٌّ تساقط ، كالحزين ،   أرخى على العزم انكساره
ماذا بوجْـد المحصَنين ؟   صوت شجٍ خلف الستاره

غيَّبتِ فى العجب الدفين   معنى براعتـه البكاره
درًّا يفـوت الناظمين   ونهضتِ تهديني بحاره
خطوات وسواس رزين :   وهبٌ تُمنِّيه الطهاره

« بشر فارس »

حبيب الزحلاوى

حول مزايا الخط العربى

مما رزئت به هذه اللغة الكريمة بتأثير من ضعف حماتها ، أن أصبحت حسناتها سيئات تعتد عليها

ومن عيوبها عند الكثيرين أنها أهملت فى خطها حروف الحركة مستعيضة عنها بالشكل الجزئى ، أو الشكل الكامل لمن لا يجيد القراءة ، وحجة من يفضلون الكتابة اللاتينية أنها برئت من هذا « العيب » الذى أورث كتابتنا اللبس والغموض

وإن من الطريف المضحك أن يكون صدى هذه الصيحة عندنا ، صيحة تقابلها هنالك ، يتنادى فيها القوم بحذف حروف

الحركة من كتابتهم ضنًّا بالزمن والورق والمجهود

وإلى القارئ نص عبارة وردت بإحدى المجلات الأمريكية[1] عن هذا الموضوع

« لقد كتب الشيء الكثير حول التهجية المنقحة كوسيلة من وسائل التوفير في المساحة . ومن المحتمل أن تكون هذه خطة جيدة ، على أنها ستكون أجود إذا نحن تقدمنا بها إلى مدى أكثر ، باتخاذ نهج من الاختزال يتوفر به نحو أربعين في المائة من مساحة المكتوب . ولن يكون هذا شاقاً إلى الحد الذي تعتقد ، لأنك تستطيع بلا شك أن تتلو هذه العبارة . أليس كذلك ؟ » وكتبت المجلة العبارة على هذا النسق من الهجاء :

"Mch hs bn wrttn abt rfrmed spling as a savr of spc. Possbly ths wld b a gd pln. Bt it wld b a bttr pln if it wer carrd frthr ..."

وهذا نص الجزء الأول مما ترجمناه ؛ وإذا نحن أعدنا كتابته على الوضع الذي يكتب به في الإنجليزية اليوم ، جاء هكذا :

Much has been written about reformed spelling as a saver of space. Possibly this would be a good plan. But it would be a better plan if it were carried farther

ويرى القارئ مبلغ الاقتصاد في الطريقة الأولى ؛ ويتضح من الإشارة باستعمالها أن القوم قد بدأوا يتلمسون أسلوباً في التهجية كأسلوبنا ، يحذفون منه حروف الحركة . أفلا يحق لنا بعد كل هذا أن نستمسك بما نحن عليه ، وندع القوم وكتابتهم يبقون عليها أو يصلحونها . وحسبنا من شر سماعه ؟

(جرجا) محمود عزت عرفة

شعر ناجي

في العدد السابق كلام عن شعر ناجي هو صدى لذلك التطاحن القديم الذي لا نؤثر له أن تشب ناره بعد أن خمدت بين الشعراء والشعراء وبين الشعراء والنقاد وبين النقاد والنقاد ... وأبغض شيء إليّ أن أكون من موقدي تلك النار أو أن أتسبب في إيقادها ... ورجائي أن يتقي الله الذين يحاولون – قاصدين أو غير قاصدين – إيقاد تلك الفتنة من جديد ، لأنها تضر الأدب ولا تنفعه ، فرب نقد أو اتهام لا يعدو أن يكون تجنياً ، يقضي به الناقد أو المتهم على روح الأديب ... أما الاتهام بالسرقة في مثل تلك السهولة وفي مثل ذلك اليسر فهو من الظلم الصارخ الذي يحسن أن نجنب أنفسنا الوقوع فيه ... وقد تفضل أحد الأدباء في العدد الأسبق ، فرد أحد أبيات ناجي التي راقتنا حتى عدلناها بألف بيت من جيد الشعر إلى الشاعر صُرَّدُر حيث يقول :

ناضلتنا بنوافـــذ مسمومة ... وودت لو قبَّلت سهم الرامي

وبيت ناجي هو :

ومن عجب أحنو على السهم غائراً ... ويسألني قلبي متى يرجع الرامي !

ولو ألقى الأديب الفاضل باله إلى أن لحاظ الحبيب لا يحسن بل لا ينبغي أن توصف بأنها مسمومة (!) لأن السم والعياذ بالله لا يكون إلا في رؤوس الأفاعي وأذناب العقارب واليعاسيب والزنابير والنمل ، لفطن إلى ناحية الضعف في بيت صر در

ولو أراد الأديب الفاضل أبياتاً أقرب إلى بيت ناجي ، وهو مع ذلك يفضلها جميعاً ، لوضعنا بين يديه الأبيات الآتية :

لابن الرومي :

فيسبيك بالسحر الذي في جفونه ... ويصبيك بالسحر الذي هو نافثه
يحن إليه القلب وهو سقامه ... ويألف ذكراه الحشي وهو فارثه

وللبحتري :

أين التي كانت لواحظ طرفها ... يصبو إليها القلب وهي سهام
إن مت من أسف لشط مزارها ... فالموت روح والحياة حمام

وللسري الرفاء :

بنفسي من أجود له بنفسي ... ويبخل بالتحية والسلام
وحتفي كامن في مقلتيه ... كمون الموت في حد الحسام

وله أيضاً :

وقد فوقن بالألحاظ نبلاً ... قلوب العاشقين لها رمايا
تمنينا اللقاء فكان حتفاً ... وكم أمنية جلبت منايا

وكنا قد أعددنا مائة بيت أو تزيد كلها تدور حول معنى بيت ناجي فإن أحب الأديب الفاضل أرسلناها إليه .. وسيفضل معنا بيت ناجي عليها جميعاً ، لأن ناجياً في غنى عن أن يسرق من أحد ، لأنه يصور بروحه ودمه ، وله ثقافة وحسن اطلاع يغنيانه عن صردر القديم وصُرَّدُرِّ العصر الحديث . وقد آن لنا أن نعدل .

(د . غ)

(1) الريدرز دايجست نقلا عن « تايم » ، نقلا عن : دالاس نيوز Dallas News الأمريكية